عقيدةُ الأُلوهِيَّة في الإسلام: المفهومُ والخصائص

د . عبدالله أحمد مبارك باوادي

قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة – كلية الشريعة وأصول الدين

جامعة الملك خالد – المملكة العربية السعودية

مستخلص البحث

إنَّ قضية "الألوهية" هي قضية البشرية في التاريخ كلّه، وستظل هي القضية المركزية في الوجود البشري والكوني، لقد دار جدل تاريخي طويل حول حقيقة الإله وعلاقته بالإنسان والكون، ما بين إله مات، وإله بشري تجسّد، وإله طبيعي، وإله أسطوري خرافي، وإله روحي مجرّد، حارت العقول وتاهت في تفسير حقيقة الإله والتعرّف على ماهيّته، وكثُرت مقولات الفلاسفة وأرباب الأديان في الوصول إلى معرفته، ولم تخرج من ذلك إلا بتأملات فلسفية وهمية، وعقائد ساذجة، اختلط فيها الإلهي بالإنساني وبالطبيعي.

والألوهيّة في الإسلام تمثّل قِمَّة التفرُّد الكلي، والتميُّز الحقيقي والجوهري في المفهوم والخصائص، إذ يكمن مفهومها في كلمة التوحيد "لا إله إلا الله" فهو المعبود بحق، والمستحق للعبادة وحده لا شريك له. كما يختصُّ بخصائص متفرِّدة، فهو غيبيٌّ محالٌ على العقل إدراكه والإحاطة به، وحقٌّ مبينٌ ثابتٌ واجب الوجود لا شك فيه، وهو الحقيقةُ المطلقة في الكون، وكمالٌ قدسيٌّ في الذات والصفات والأفعال، وعقيدةٌ فطريةٌ راسخةٌ فُطِرت عليها البشرية، وخضوعٌ وعبادةٌ وتذلّلٌ للإله المستحق العبادة. وترتبط الالوهية في الإسلام بالإنسان والكون بعلاقة خالق ومخلوق، وربّ ومربوب، تقوم على التباين الجذري والانفصال الجوهري في الذات والصفات والأفعال والوجود.

الكلمات المفتاحية: عقيدة، الإسلام، الألوهية، الإنسان، الكون، المفهوم، الخصائص، الأديان.

Abstract

The Doctrine of Godship in Islam: Concept and Characteristics

The issue of Godship is the concern of humanity in all over the history, and it will remain the central issue of human and universal existence. There has been a long historical debate about the truth of god and his relationship to Human and the universe, whether he is a dead god or god incarnate, or a natural god, a mythological god, or a spiritual

god. Minds are bewildered and uncertain in interpreting the truth and nature of God. The statements of philosophers and religiousscholars about fathoming the knowledge about him are too many; however, they resulted in nothing worth-mentioning but philosophical and imaginary reflections, and absurd beliefs in which divine, humane and natural were deeply confused.

The godship in Islam is the top of the whole uniqueness, and the real and essential distinctiveness in both the concept and the characteristics. Its concept lies in the testimony of faith, "There is no true god but Allah", for He is the true God, worthy of worship alone, and has no partner. He has special Characteristics. It is a unseen revelation, not possible for the human abilities to encompass them. He is absolutely true and undoubtfully omnipresent. He is the absolute truth in the universe, Holy perfection in the Entity, Attributes and actions. Faith in Him is innately built-in humans. Submission, worship, and humiliation are only truly due to the God deserving to be worshipped. The godship in Islam is linked to human and the universe with the relationship of Creator and Created, Lord and a slave, based on the absolute difference and essential separation between the entity, attributes, actions and omnipresence.

Keywords: Belief, Islam, godship, Human, Universe, Concept, Characteristics, Religions.

المقدمة

الحمد لله الإله المعبود، ربِّ الناس، ملك الناس، إله الناس، ذو الجلال والكمال والجمال، تقدّست ذاته، وتنزّهت صفاته، وعَظُمت فعاله، وتباين عن الشبيه والمثيل، وتفرّد في وحدانيته، أحدٌ في ذاته وصفاته ووجوده. والصلاة والسلام على رسوله إمام الموحدين وسيد الأنبياء والمرسلين، ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين.. وبعد:

تمثّل الألوهية ومعرفة الإله في ذاته وصفاته وأفعاله أهم القضايا المحورية التي شغلت عقول الفلاسفة، وتعدَّدت صُورها وتفسيراتها عند أرباب الديانات،

وثار حولها الكثير من الجدل الكلامي والفلسفي في تاريخ العقيدة الإسلامية، ولم تكن القضية بهذا الحجم والجدل في القرون الأولى من تاريخ الإسلام.

إن مسألة الألوهية وتفسير حقيقة الإله أصبحت مَثَار جَدَلٍ كبير في الديانات المختلفة، وحقيقٌ بموضوع كهذا أن ينال حظّه من الدراسة والبحث من وجهة الإسلام ومنهجية العقيدة الإسلامية، فتناولت هذا الموضوع "**الألوهية في الإسلام: المفهوم والخصائص**" من مصادر العقيدة الإسلامية معتمداً على الكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ومن أصدق من الله حديثاً، ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون.

وتكمن أهمية البحث في موضوعه، وهو دراسة مفهوم الألوهية في الإسلام وخصائصها، ومعلوم أن شرف العلم بشرف المعلوم، وكيف لو كان موضوع البحث هو دراسة الإله وذاته وصفاته وأفعاله ووجوده، وما يختص به من الخصائص التي تميزه عما عداه من الآلهة في الديانات الأخرى الوثنية والمحرفة.

كما يهدف البحث إلى توضيح المعتقد الإسلامي في الاعتقاد في الله عز وجل وفيما يختص به من خصائص ألوهيته، كما يهدف إلى إبراز أهمية المنهجية في دراسة مثل هذه القضايا والمتمثلة في منهجية الوحي الكتاب والسنة. إضافة إلى تقديم تأصيل علمي للقضية "الألوهية" التي تعتبر من أهم موضوعات الأديان المقارنة.

يتناول البحث موضوع الألوهية في الإسلام مفهومها وخصائصها في مقدمة ومبحثين وخاتمة، أما المقدمة فتناولت فيها التعريف بمشكلة البحث وبيان أهميته وأهدافه وهيكلة البحث، ومنهجية الباحث في دراسته.

وأما المبحث الأول تطرَّقتُ فيه للحديث عن مفهوم الألوهية في الإسلام وذلك من جانبين: اللغة والاصطلاح، حيث أثبتُّ من مصادر اللغة أنَّ الإله

يطلق ويراد به: المعبود، والمستحق للعبادة. وأما في الاصطلاح القرآني فأثبت البحث أنَّ الإله يطلق على كلّ ما عَبَدَه الإنسان وتوجَّه إليه بالعبادة والخضوع والتذلّل، ويطلق على الإله المعبود بحق والإله المعبود بالباطل، وأن الإله الحق هو المعبود الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له، وهو معنى كلمة التوحيد "لا إله إلا الله".

وأما المبحث الثاني فقد خصَّصته لدراسة خصائص الألوهية في الإسلام، وذكرت خمس خصائص وهي:

الأولى: الألوهية وحيٌ غيبي يقوم العلم به على الوحي والإيمان بالغيب ولا مجال لإدراكه عن طريق العقل.

الثانية: الألوهية حقٌّ مبين ثابت حقيقة مطلقة واجب الوجود وله ذات وأسماء وصفات وأفعال.

الثالثة: الألوهية كمال قدسي، متصف بصفات الكمال، منزّه عن صفات النقص والعيب.

الرابعة: الألوهية إقرار فطري، خَلَقَ المخلوقات على فطرة الإقرار بربوبيته ووجوده ووحدانيته.

الخامسة: الألوهية خضوع كوني، متمثل في خضوع الإنسان والكون بأسرة لعبودية الله والخضوع له بالطاعة.

ثم تطرقت بعدها للحديث عن علاقة الإله بالإنسان والكون، وبيَّنت أن العلاقة بينهما علاقة خالق ومخلوق، ورب ومربوب، وعبادة وخضوع، فالله عز وجل لم يتخلى عن مخلوقاته، ولم يفقد اتصاله بهم، بل هو قائمٌ على تدبير شؤونهم وتصريف أمورهم، بائنٌ من مخلوقاته، مستوٍ على عرشه.

وهذه الخصائص توضَّح بجلاء حقيقة مفهوم الألوهية في الإسلام وأنها تمثل قمةٌ في صفاء الاعتقاد ووضوحه، وتناسقٌ في تكامل وترابط أصولها وخصائصها، وسعةٌ في شمولها وتوازنها العقدي والفكري.

البحث يُعدُّ دراسة اجتهادية حاول الباحث فيها تحري الحق وبيان المعتقد الصحيح للألوهية في الإسلام، فإن كان موفقاً فهذا من فضل الله تعالى ورحمته وتوفيقه، وإن كان فيه شيءٌ من الخطأ والزلل وجب التنبيه والنصيحة والحمد لله رب العالمين.

المبحث الأول: مفهوم الألوهية في الإسلام

تُعَدُّ قضية الألوهية في العقيدة الإسلامية الركيزة الرئيسة التي يقوم عليها بناء الدين الإسلامي، وهي قضية تُمثِّل الحقيقة المطلقة وجوهر الدين وأشرف قضاياه، إذ شَرَفُ العلم بشَرَفِ المعلوم، إذ حاجة العباد إلى الله تعالى "فوق كل حاجة، وضرورتهم إليه فوق كل ضرورة؛ لأنه لا حياة للقلوب، ولا نعيم ولا طمأنينة، إلَّا بأن تعرف ربها ومعبودها وفاطرها، بأسمائه وصفاته وأفعاله. ويكون مع ذلك كله أحبَّ إليها مما سواه، ويكون سعيها فيما يقربها إليه دون غيره من سائر خلقه"[1]. ولأهمية الألوهية وماكنتها في الإسلام أوجب الله عز وجل تعلّمها، وفرض العلم بها، فقال تعالى: **فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ** [محمد: ١٩]، ولأجلها أرسل الله الرسل وبعث الأنبياء، وأنزل الكتب، قال تعالى: وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ [النحل: ٣٦]، وقال: وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ [الأنبياء: ٢٥]. وجعل تحقيقها الغاية العظمى من خلق البشرية جمعاً، فقال تعالى: وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ [الذاريات: ٥٦]. والقرآن الكريم قد

---

1. ابن أبي العز الحنفي، محمد بن علي، شرح العقيدة الطحاوية، تحقيق: عبدالله بن عبدالمحسن التركي وشعيب الأرنؤوط (دمشق: دار الرسالة العالمية، ط2، 1433هـ/2012م)، ص69.

خصَّ عقيدة الألوهية بمزيد اهتمام وتوضيح وبيان "فتناولتها آيات كثيرة من مختلف سور القرآن الكريم حتى اعتبر موضوع الألوهية أحد المحاور الرئيسة التي دار حولها الخطاب القرآني"[1].

يُعَدُّ مصطلح "الألوهية Godship" من المصطلحات الشائعة في اصطلاح علماء الاعتقاد وعلم الكلام والفلسفة وتاريخ الأديان، وتوسّع مدلوله وارتبط مفهومه بالأديان التي عرفتها البشرية في حقب التاريخ، رغم اختلاف مفاهيم الألوهية بين الأديان وبالأخص بين الإسلام وبين سائر الأديان بما فيها السماوية، وقد عَبَدَ الإنسان الإله بمظاهره المختلفة وصوره المتعددة، وأذعن له، وقدَّم له الطقوس والشعائر والعبادات تقرباً وتقديساً، إذ الألوهية من الإله وهو الذي يؤله فيُعبَد محبةً وإنابةً وإجلالاً وإكرامًا. ويحمل هذا المصطلح معانٍ ودلالات تدل على أصله اللغوي ومفهومه الشرعي، مما يستلزم الوقوف عندها وفهمها للوصول إلى رؤية متكاملة وشاملة لمفهوم الألوهية في الإسلام.

أولاً: المفهوم اللغوي:

الألوهية مشتقة من كلمة "إلاه"، والإلاه: المعبود، يقال: أَلَهَ إلاهَةً، وأُلُوهَةً وأُلُوهِيَّةً، عَبَدَ عِبادَةً[2]، وقال الزجاجي "فإلَه "فِعَال" بمعنى "مفعول"، كأنه مَأْلُوه أي معبود مستحق للعبادة يعبده الخلق ويُؤلّهونَه"[3]، فمعنى الإله في الحقيقة: هو ذو

1. العمري، مرزوق، إشكالية تاريخية النص الديني (الرباط: دار الأمان، ط1، 1433هـ/2012م)، ص383.

2. الزَّبيدي، محمّد بن محمّد المرتضى، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين (دار الهداية، د ط، د ت)، 320/36؛ الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي (بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ط8، 1426هـ/2005م)، ص1242.

3. الزجاجي، عبدالرحمن بن إسحاق، اشتقاق أسماء الله، تحقيق: عبد الحسين المبارك (مؤسسة الرسالة، ط2، 1406هـ/1986م)، ص24.

الألوهية أي: المستحق للألوهية والعبادة. والمعبود إنما هو اسم المفعول من عبد فهو معبود[1]. وهذا يدل على أن الألوهية صفة استحقاق، والمعنى: أن الله عز وجل مستحق للألوهية، ومستحق للعبودية. وقال ابن منظور: " الإِلَهُ: اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، وكلُّ ما اتخذ من دونه معبوداً إِلَهٌ عند مُتَّخِذِه، والجمع آلِهَةٌ. والآلِهَةُ: الأصنام، سُمُّوا بذلك لاعتقادهم أن العبادة تَحُقُّ لها، وأسماؤهم تتبع اعتقاداتهم لا ما عليه الشيء في نفسه، وهو بَيِّنُ الإِلَهةِ والأُلْهانيَّةِ"[2].

ومنه لفظ الجلالة "الله": "وهو علم على الإله المعبود بِحَق، وأَصله مأخوذ من الإلاه، وهو الراجح من أقوال أهل العلم في مسألة اشتقاق اسم الله سبحانه وتعالى[3]، "ويؤخذ من كلام بعضهم أن الخلاف مختصٌّ بالإله الذي هو أصل كلمة الجلالة، فأما "إله" المستعمل بلفظه فلا خلاف أنه من "أله" بمعنى عَبَد، ومن كلام آخرين أن الخلاف جارٍ في المستعمل بلفظه أيضًا. وحجَّة الأكثر: الاتفاق على أن لفظ إله بمعنى معبود أو معبود بحق أو مستحق للعبادة وهو مناسب لمادة أله بمعنى عبد لفظًا ومعنى"[4].

ونقل الأزهري عن ابن أبي الْهَيْثَم قوله: "فَالله أصلُه إلاه، قَالَ الله جلّ وعزّ: مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ [المؤمنون: ٩١]، قَالَ: وَلَا يكون إلاهاً حَتَّى يكون معبوداً وَحَتَّى يكون لعابده خَالِقًا، ورازقاً، ومدبِّراً، وَعَلِيهِ مُقتدِراً، فَمن

1. المصدر نفسه، ص30.

2. ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب (بيروت: دار صادر، ط3، 1414هـ)، 467/13.

3. انظر: ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، بدائع الفوائد (بيروت: دار الكتاب العربي، د ط، د ت)، 22/1؛ والسفاريني، شمس الدين محمد بن أحمد، لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية (دمشق: مؤسسة الخافقين ومكتبتها، ط2، 1402هـ/1982م)، 30/1-31؛ والزجاجي، المصدر السابق، ص23.

4. المعلمي، عبدالرحمن بن يحيى، رفع الاشتباه عن معنى العبادة والإله وتحقيق معنى التوحيد والشرك بالله، تحقيق: عثمان بن معلم شيخ علي (مكة المكرمة: دار عالم الفوائد، ط1، 1434هـ)، ص395.

لم يكن كَذَلِك، فَلَيْسَ بإلاه، وَإِن عُبِد ظُلْماً، بل هُوَ مخلوقٌ ومُتعبَّدٌ"[1]. ومراده "أن معنى إله: معبودٌ بحقٍّ، ولا يكون معبودًا بحقٍّ حتى يكون خالقًا إلخ، بدليل قوله بعد ذلك: "وإن عُبِد ظلمًا"، أي: فإن عابده وإن كان بزعمه أنه معبودٌ بحقٍّ قد زعم أنه إلهٌ، لكنه ليس في حكم العقل والدين بمعبودٍ بحقٍّ، فليس بإلهٍ في نفس الأمر"[2].

و"التأله": التنسّك والتعبّد، يقال: تأله فلان، إذا فعل فعلاً يقربه من الإله، و"التأليه": هو التعبيد. ومنه قول رؤبة: لِلَّهِ دَرُّ الغَانِياتِ المُدَّهِ ... سَبَّحْنَ واسْتَرْجَعْنَ مِنْ تأَلُّهِي[3].

ونلحظ من خلال ما سبق: أن الألوهية تدل معانيها في اللغة على معنى التعبّد والعبادة والعبودية، وأن "الإله" يطلق على كل ما اتخذ معبوداً، وعلى من يستحق العبادة، ومنه لفظ الجلالة "الله" مشتق من الإله، ولهذا بيّن ابن عباس ﵄ ما يدل عليه من معنى فقال: " "الله" ذو الألوهية والمعبودية على خلقه أجمعين"[4].

و"الإلاهيات": كل مَا يتَعَلَّق بِذَات الْإِلَه وَصِفَاته[5]، و"الألوهية، والإلاهية، والإلهية والألوهية والإلهانية: كون، أو صفة الذات الإلهية، والإلهيات: علم يبحث عن الله وما يتعلق به تعالى، وهى ترجمه لكلمة "Theologie"، وهى

1. الأزهري، محمد بن أحمد، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط1، 2001م)، 6/223-224.

2. المُعلِّمي، المصدر السابق، ص396.

3. الفيروزآبادي، المصدر السابق، ص1603؛ ابن منظور، المصدر السابق، 13/469؛ الزبيدي، المصدر السابق، 36/342.

4. الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر (مؤسسة الرسالة، ط1، 1420هـ/2000م)، 1/123.

5. مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، (القاهرة: دار الدعوة، د ط، د ت)، 1/25.

مأخوذة من الكلمة اليونانية القديمة "Theologie"، وهى مركبة من مقطعين "Theo"، ومعناها: الله، "logia"، ومعناها: علم، فكانت الكلمة بمقطعيها تطلق عند قدماء اليونانيين ويراد بها: علم الآلهة، وما يتعلق بالألوهية، وعندما انتقلت إلى اللغات الأوروبية أصبح معناها: تعاليم الله، أو علم العقائد الإلهية، ثم ترجمت إلى العربية بـ "اللاهوت" أو، الإلهيات" على غير قياس"[1].

ومن خلال هذا العرض لمعنى الألوهية في المفهوم اللغوي يمكن أن نقول: أن الألوهية أصبحت تستعمل في معناها اللغوي على العبادة والتعبد لإله معبود وهو "الله" أو "الإله"، وأن موضوعها يمتد ليشمل كل ما يتعلق بهذا الإله من مسائل وقضايا تتعلق بذاته وصفاته وأفعاله، كما تتناول موضوعاتها أفعال "الإنسان" وما يقوم به من عبادات وشعائر وطقوس لهذا المعبود الإله الذي يستحق العبادة.

ثانياً: المفهوم الشرعي:

لا يخرج المفهوم الشرعي للألوهية عن مفهومها اللغوي، إذ أن الشرع لم يستعمل لفظ "الألوهية" وإنما استعمل مادته الاشتقاقية "إله" و"آلهة" و"إلهة" إضافة إلى لفظ الجلالة "الله"، وكلّها تدور معانيها على معناه اللغوي أي التعبُّد والعبادة والعبودية.

و"أصل العبادة في اللغة: التذليل، والعبادة والخضوع والتذلُّل والاستكانة قرائب في المعاني، يقال: تعبد فلانٌ لفلانٍ إذا تذلَّل له، وكلُّ خضوعٍ ليس فوقه خضوعٌ فهو عبادةٌ طاعةً كان للمعبود أو غيرَ طاعةٍ، وكلُّ طاعةٍ لله على جهة الخضوع والتذلُّل فهي عبادةٌ، والعبادة نوعٌ من الخضوع لا يستحقُّه إلا المنعم بأعلى أجناس النعم كالحياة، والعبادة لا تستحقُّ إلا بالنعمة؛ لأن العبادة تتفرد

1. المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، موسوعة المفاهيم الإسلامية العامة، مصر (بدون معلومات)، ص565.

بأعلى أجناس النعم؛ فلذلك لا يستحق العبادة إلا الله"[1]. والشرع خصَّ الألوهية بالله عز وجل، إذ هو المعبود بحقٍّ وما عداه معبود بباطل، وهو المعبود وحده الذي يستحق العبادة والخضوع محبةً ورجاءً، ورغبةً ورهبةً. وقد تكاثرت نصوص القرآن في الدلالة على تأكيد أن الإله يطلق على المعبود أياً كان جنسه ولونه، فكل ما عَبَده الإنسان وخضع ودان له فهو آلهة سواء كان بحق أو بباطل. كما يطلق على الإله المستحق للعبادة.

ومن ذلك ما ذكره القرآن الكريم عن ديانة قوم نوح عليه الصلاة والسلام والقائمة على عبودية الأصنام والأشخاص، قال تعالى: **وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا** [نوح: ٢٣]، وهذه كانت أسماء أناس صالحين كان قوم نوح يعبدون صورهم وتماثيلهم كما روي عن ابن عباس رضي الله عنه في البخاري[2]، والشاهد منها إطلاق لفظ الآلهة على تلك المعبودات البشرية والأصنام الوثنية، إذ أصبحت هي المعبودة التي خصوها بالدعاء والعبادة. ويؤيد ذلك قوله تعالى: **لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ** [الأعراف: ٥٩]، وهذا صريح في أنهم اتخذوا آلهة ومعبودات دون الله عز وجل.

ومنها ما حكاه تعالى عن قول خليله إبراهيم عليه السلام في محاورته لأبيه: **وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً** [الأنعام: ٧٤]، وقال تعالى عن يعقوب وبنيه: **أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَٰهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ** [البقرة: ١٣٣].

---

1. انظر: المعلمي، المصدر السابق، ص400.

2. انظر: البخاري، محمد بن إسماعيل، الصحيح (الرياض: دار السلام، ط1، 1417هـ-1997م)، كتاب التفسير، باب "وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا"، حديث رقم (4920).

ومنها ما أخبر به تعالى عن بني إسرائيل مع نبيه موسى عليه السلام: **وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰ أَصْنَامٍ لَّهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ** [الأعراف: ١٣٨]، ولا شك أنهم طلبوا من موسى أن يجعل لهم معبوداً يعبدونه، ويتقربون إليه بالقرابين ويعكفون على عبادته تقليداً لأولئك القوم.

ومنها ما حكى عنه القرآن الكريم عن اتخاذ السامري آلهة له ولبني إسرائيل يعبدونها، فقال عز وجل: **قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ. فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَٰذَا إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ. أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا.** [طه: ٨٧ – ٨٩]، وهنا أبطل الله عز وجل عبودية العجل ببرهان عجزه وعدم القدرة واتصافه بصفات النقص التي يتصف بها العجل، إذ كيف يعبدونه وهو عاجز عن النفع والضر، وعاجز عن الكلام، ومن كان هذا حاله لا يصلح أن يكون إلاهاً معبوداً يستحق العبادة.

ومنها ما أخبر الله به عن فعل النصارى مع المسيح عيسى بن مريم وأمه عليهما الصلاة والسلام، واتخاذهم لهما آلهة معبودة من دون الله، قال عز وجل: **وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ** [المائدة: ١١٦]، وقال عز وجل: **لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ** [المائدة: ٧٣].

وقال تعالى عن ادعاء فرعون الألوهية والعبودية من دون الله عز وجل: **وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَل لِّي صَرْحًا لَّعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَىٰ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ** [القصص: ٣٨].

ويقول تعالى في إثبات بطلان عبودية الآلهة التي اتخذها المشركون من دون الله: **أَمِ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِّنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ. لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ** [الأنبياء: ٢١ – ٢٢]. فنفى استحقاق تلك الآلهة الوثنية للألوهية والعبودية، "فإنه سبحانه أخبر أنه لو كان فيهما آلهة غيره، ولم يقل أرباب"[1]، وفي هذه الآية دلالة صريحة "على أنه لا يجوز أن يكون فيهما آلهة متعددة، بل لا يكون الإله إلا واحد، وعلى أنه لا يجوز أن يكون هذا الإله الواحد إلا الله سبحانه وتعالى، وأن فساد السموات والأرض يلزم من كون الآلهة فيهما متعددة، ومن كون الإله الواحد غير الله وأنه لا صلاح لهما إلا بأن يكون الإله فيهما هو الله وحده لا غيره، فلو كان للعالم إلهان معبودان لفسد نظامه كله، فإن قيامه إنما هو بالعدل، وبه قامت السموات والأرض. وأظلم الظلم على الإطلاق الشرك، وأعدل العدل التوحيد"[2].

وقد كان المشركون من العرب يقرون بربوبية الله تعالى، "وأن خالق السماوات والأرض واحد، كما أخبر تعالى عنهم بقوله: **قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ . فَذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ** [يونس: ٣١ – ٣٢]، **قُل لِّمَنِ الْأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ قُلْ مَن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُون بَلْ أَتَيْنَاهُم بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ**

1. ابن أبي العز الحنفي، المصدر السابق، ص81.
2. المصدر نفسه، ص88.

سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ [المؤمنون: ٨٤ – ٩١]، فهذه الآيات في هذه المواضع وأمثالها مسوقة للدلالة على إقرار هؤلاء المشركين بوجود الله تعالى وربوبيته على خلقه، ولإقامة الحجة على المشركين الذين يتخذون من دون الله تعالى وبغير سلطان منه آلهة يعبدونها أي يخضعون لها طلباً للنفع الغيبي، "فالقرآن يبيّن أن مناط استحقاق العبادة أن يكون المعبود مالكاً للتدبير الغيبي مختاراً أن ينفع به ويضر كما يشاء لا على وجه الطاعة منه لمن هو أعلى منه، ولا مفتقراً إلى إذن خاص ممن هو أعلى منه"[1].

كما بيّن القرآن أن تلك الآلهة كان يعبدها المشركون بقصد اتخاذها واسطة وشفعاء لهم عند الله عز وجل لا لأجل اعتقاد صفات الربوبية فيها: **أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ** [الزمر: ٣]، فهم مقرون بأن الله هو المقصود ولكنهم يقصدون الملائكة وغيرهم ليقرّبوهم إلى الله، "فالإله عندهم هو الذي يقصد لأجل هذه الأمور لم يريدوا أن الإله هو الخالق الرازق المدبّر فإنهم يعلمون أن ذلك لله وحده"[2]. ولم يكونوا "يعتقدون في الأصنام أنها مشاركة لله في خلق العالم، بل كان حالهم فيها كحال أمثالهم من مشركي الأمم من الهند والترك والبربر وغيرهم، تارة يعتقدون أن هذه تماثيل قوم صالحين من الأنبياء والصالحين، ويتخذونهم شفعاء، ويتوسلون بهم إلى الله، وهذا كان أصل شرك العرب"[3].

1. المعلمي، عبدالرحمن بن يحيى، القائد إلى تصحيح العقائد، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني (بيروت: المكتب الإسلامي، ط3، 1404هـ/1984م)، ص121.
2. العثيمين، محمد بن صالح، شرح كشف الشبهات، إعداد: فهد بن ناصر السليمان (الرياض: دار الثريا للنشر والتوزيع، ط1، 1416هـ/1996م)، ص30.
3. ابن أبي العز الحنفي، المصدر السابق، ص88.

والحاصل أن استقصاء الآيات الواردة في هذا الباب يطول، وما تقدّم فيه الكفاية في الدلالة على أن معاني ومفهوم الألوهية والإله في المصطلح القرآني يطلق على المألوه المعبود، وعلى من يستحق العبادة وهو الله عز وجل، وعلى من لا يستحق العبادة كآلهة المشركين من الأصنام وغيرها، إذ أن اتخاذها معبودات، يتوجّه إليها بالدعاء والعبادة، يجعلها آلهة في نظر عابديها إلا أنها آلهة باطلة وتسميتها بذلك باطلة لا تستحق أن تُعبَد، **ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ** [لقمان: ٣٠]. فالله عز وجل له الحق في الألوهية واستحقاق العبودية، وأن ما يدعون من دونه باطل الإلهية لا الأصنام ولا غيرها مما يدّعى إلهية غيره تعالى[1].

فإذا عُلِم هذا؛ تبيّن لنا أن معنى كلمة التوحيد "لا إله إلا الله" تعني: "لا معبود بحق إلا الله عز وجل، والتقييد بحق يخرج به الآلهة المعبودة بباطل فإنها قد عُبِدَت، والمنفي هو استحقاق العبادة عن غير الله عز وجل لا وقوعها"[2]، فإنها قد وقعت من قبل الأمم كما أخبر القرآن عنها. و"لا إله نافياً جميع ما يُعبد من دون الله فلا يستحق أن يُعبَد، إلا الله مثبتاً العبادة لله فهو الإله الحق المستحق للعبادة، فتقدير خبر "لا" المحذوف "بحق" هو الذي جاءت به نصوص الكتاب والسنة، وأما تقديره "بموجود" فيُفهم منه الاتحاد، فإنَّ "الإله" هو المعبود، فإذا قيل: لا معبود موجوداً إلا الله، لزم منه أن كلّ معبود عُبِد بحق أو باطل هو الله، فيكون ما عَبَده المشركون من الشمس والقمر والنجوم والأشجار والأحجار والملائكة والأنبياء والأولياء وغير ذلك هي الله، فيكون ذلك كلّه توحيداً، فما عُبِد

---

1. انظر: ابن عاشور، محمد الطاهر، تفسير التحرير والتنوير (تونس: الدار التونسية للنشر، 1984م)، 181/21-186.

2. الحكمي، حافظ بن أحمد، معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر (الدمام: دار ابن القيم، ط1، 1410هـ/1990م)، 73/1.

على هذا التقدير إلا الله إذ هي هو، وهذا والعياذ بالله أعظم الكفر وأقبحه على الإطلاق، وفيه إبطال لرسالات جميع الرسل وكفر بجميع الكتب وجحود لجميع الشرائع وتكذيب بكل ذلك وتزكية لكل كافر من أن يكون كافراً، إذ كل ما عَبَده من المخلوقات هو الله فلم يكن عندهم مشركاً بل موحداً، تعالى الله عما يقول الظالمون والجاحدون علواً كبيراً، فإذا فهمنا هذا فلا يجوز تقدير الخبر: "موجود" إلا أن يُنعت اسم "لا" بحق فلا بأس ويكون التقدير: لا إله حقاً موجود إلا الله، فبقيد الاستحقاق ينتفي المحذور الذي ذكرنا"[1]. فالله عز وجل هو وحده عز وجل الإله المعبود بحق، ومن يستحق أن يُفرَد بالعبادة والطاعة والخضوع والتذلل والدعاء، وأن يُفرَد بصفات الألوهية التي هي صفات كمال وجلال والمنزّه عن كل نقص وعيب لا يليق بجلاله وكماله، وأن يُفرَد "بأفعال الرب، ومقتضيات الربوبية من الخلق والتقدير، والملك والتدبير، ومن صح إيمانه بالربوبية هداه ولابدّ إلى الإيمان بالألوهية وإفراده تعالى بالطاعة والعبودية"[2]. ويمكن تصوّر حقيقة مفهوم الألوهية في العقيدة الإسلامية من خلاص معرفة خصائصها ومميزاتها التي تتميز بها والتي تعطي بُعداً أوسع وأشمل وأفق جديد للمفهوم المعرفي والفكري للألوهية في الإسلام.

المبحث الثاني: خصائص الألوهية في الإسلام

تتميّز الألوهية في العقيدة الإسلامية بخصائص تُعدُّ في حقيقة الأمر لوازم ومقتضيات لتحقيقها، كما يؤكد اختلافها الجوهري في مفهومها وخصائصها عنها في الأديان الأخرى، حيث تختلف العقيدة الإسلامية في رؤيتها للألوهية وفي

1. المصدر نفسه، 416/2.

2. يسري، محمد بن إبراهيم، درة البيان في أصول الإيمان، (القاهرة: دار اليسر، ط7، 1433هـ/2012م)، ص33.

تصوّرها للإله، وفي اعتقادها في الوجود الإلهي، والصفات الإلهية، وفي تفسيرها لطبيعة العلاقة بين الإله والإنسان والكون والحياة.

لقد حاولت البشرية في تاريخها الديني أن تهتدي إلى حقيقة وطبيعة الإله الذي تشعر بوجوده، وتفتقر إلى معرفته، وتحتاج إلى الوصول إليه وربط علاقتها به ليمدّها بأسباب العيش والبقاء بسلام وأمن؛ لاعتقادها بتفرده بصفات وقدرات تفوق ما عند البشرية، فعملت جاهدة وبما أرشدها إليه عقلها البشري أن تهتدي إلى ذلك الإله المتفرد، ذو الحقيقة المطلقة، والصفات المثلى، وأعمل فلاسفتها الفكر والمنطق وأمعنوا النظر، للتوصل إلى سر الوجود، وحقيقة الإله، وتصّور كنه الكون، ورسالة السماء، فتوصلوا إلى فلسفات وعقائد مثّلت فيما بعد نظرة الأديان إلى الألوهية.

إن قضية الإيمان بالألوهية في الفلسفات الدينية ونظريات تطور الأديان تقوم على الإيمان بالإله الواحد والآلهة المتعددة[1]، وتراوحت ما بين نظرات أسطورية خيالية وأسرار وعبادة مظاهر الطبيعة، وتأليه الإنسان للطبيعة، أو عبادة الإنسان لآلهة في هيئات بشرية، وما بين نظرات فلسفية تدّعي العقلانية والبرهنة المنطقية في تفسير الوجود الإلهي، وتحليل طبيعته وتفسير علاقته بالطبيعة الإنسانية والكونية كما في الأديان الوضعية الوثنية. وما بين أديان تُعدُّ توحيدية في أصلها ونشأتها ثم انحرفت لتتبنى نظرية قومية الإله الخاص بشعب

1. انظر: الخشت، محمد عثمان، تطور الأديان نظرية جديدة في منطق التحولات (القاهرة: نيو بوك للنشر والتوزيع، ط2، 2017م)، ص42 وما بعدها؛ والنشار، مصطفى، مدخل جديد إلى فلسفة الدين (القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، ط2، 2015م)، ص139- 183؛ والنشار، علي سامي، نشأة الدين النظريات التطويرية والمؤلهة (القاهرة: دار السلام، ط1، 1420هـ/2009م)، ص35 وما بعدها؛ والشريف، عمرو، الوجود رسالة توحيد (القاهرة: نيو بوك للنشر، ط2، 1436هـ/2015م)، ص27-72؛ وعبدالباري، فرج الله، العقيدة الدينية نشأتها وتطورها (القاهرة: دار الآفاق العربية، ط1، 2006م)، ص57-92.

واحد فقط ليكون شعب الله المختار كما في اليهودية، أو نظريات فلسفية شابتها عقائد وثنية انحرفت بالتوحيد فيها إلى هيئة تعددية ذات ألغاز وأساطير جعلتها من أعقد العقائد وأبعدها عن التفكير المنطقي السليم كما في النصرانية[1]. بينما تقوم قضية الإيمان بالألوهية في العقيدة الإسلامية على أسس ومبادئ وعقائد مختلفة تماماً عن سابقتها، تتجلى فيها رقي العقيدة الإسلامية، ليصبح فيها الإله عقيدة وحقيقية ثابتة، وألوهية ذات صفات خاصة ومتميزة، وخصائص سامية متفردة تختلف كليةً عن نظرائها في الأديان الأخرى.

الألوهية وحيٌ غيبي:

وحيٌ من حيث توقّف العلم به وبخصائصه على الوحي، وغيبٌ لا يخضع لنظام المحسوسات والماديات، ويعتبر الإيمان بالوحي والغيب من أركان وأصول الإيمان في المعتقد الإسلامي، قال تعالى: **ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ. الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ** [البقرة: ٢ – ٣]، والعقيدة الإسلامية تقوم على أصول عقدية لا تخضع للحس المباشر أو غير المباشر، وإنما تقع في مجال عالم الغيب. والإيمان بالله تعالى هو إيمان بالغيب؛ لأن ذات الله تعالى غيب بالقياس إلى البشر، ولذا لا نستطيع أن نتعرف عليه أو على ذاته وصفاته وأفعاله إلا عن طريق الوحي المبين. فمعرفة الله عز وجل تقوم على الوحي الصحيح الذي وصل إلينا عن طريق الأنبياء والرسل، ومتى ما قام الدليل الصحيح بتعريفنا بالله عز وجل، وبذاته وصفاته وأسمائه وأفعاله، وجب علينا حينئذ التصديق والإيمان به واعتقاده اعتقاداً جازماً لا ريب فيه.

1. انظر: الخشت، المصدر السابق، ص43-56.

ويقوم الاعتقاد في الإسلام على الوحي من الكتاب والسنة، فهو رباني المصدر، موحى به من عند الله تعالى. وهو بهذا يختلف عن غيره من المعتقدات الوثنية التي تنشئها المشاعر والأخيلة والأوهام والتصورات البشرية من تلقاء نفسها، كما أنها تميزها عن العقائد السماوية في صورتها الأخيرة التي آلت إليها على يد الأتباع من الإضافات والتغيير والتحريف والتبديل حتى آلت تلك الديانات والعقائد إلى ديانات وثنية[1].

كما أن الغيبية للألوهية في العقيدة الإسلامية تميزها عن المذاهب الفكرية المادية التي تتنكر للغيب ولا تؤمن إلا بما تقع عليه الحواس، ويخضع للتجربة الحسية، وأنه لا شيء يتحقق في عقيدة الإنسان ما لم يكن قد أتى من قبل عن طريق حواسه[2].

الألوهية موضوع غيبي يقوم على الوحي، ولا يمكن بحال من الأحوال تصوّر وجود إله يحمل صفات الألوهية وله وجود حسي في عالم الشهادة والمحسوسات، ولا مجال للعقل في العقيدة الإسلامية إلى تصوّر كنه وحقيقة الإله وصفات الألوهية استقلالاً بنفسه دون الاعتماد والرجوع إلى الوحي.

لقد جرّبت البشرية عصور التخبط الديني في اكتشاف المجهول الغيبي بعقولها فأنتجت لنا أفكاراً ساذجة ذات مقولات متناقضة، وعقائد جوفاء تصوّر الإله بالكائن البشري والطبيعة الشخصية، والوصول إلى أنسنة الإله[3]، أو الوصول إلى النقيض من ذلك بتجريد الإله وتعريته من الخصائص والصفات،

---

1. انظر: ضميرية، عثمان جمعة، مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية (جده: مكتبة السوادي للتوزيع، ط1 المعدَّلة، 1425هـ/2005م)، ص261.

2. انظر: النشار، نشأت الدين، ص75.

3. انظر: السيف، خالد بن عبدالعزيز، ظاهرة التأويل الحديثة في الفكر العربي المعاصر، (جده: مركز التأصيل للدراسات والبحوث، ط3، 1436هـ/2015م)، ص308-310.

ليصبح إلهٌ عدميّاً، ذات وجود هلامي في المثُل والخيال الوهمي، مما نتج عن ذلك ظهور نزعات إلحادية تنزع إلى إنكار الألوهية وتجريده من حقيقته الوجودية، أو إلى "وضع خطة التعقيل أو العقلنة التي تستهدف رفع عائق الغيبية عنها، وتغيير محور العقيدة من الألوهية إلى الإنسان من خلال النظر لموضوع الغيب والنظر إليه على أنه حالة نفسية، فتستبعد موضوع الألوهية وتركز على الإنسان إذ تبرزه من زاوية انثروبولوجية تاريخية، ومن منظور علم المقارنة بين الأديان بأن مفهوم الألوهية تطور في الخيال الديني للمؤمنين من مرحلة إلى أخرى"[1].

ولا شك أن هذه النظريات ممكن قبولها في تفسير الألوهية في الأديان الوضعية الوثنية التي تقوم على عالم المحسوس والمادة، حيث يمكن عرضها على حقل التجارب والدراسات الميدانية والنفسية والحالات الإنسانية الأنثروبولوجية والمنهج التاريخي، وذلك لطبيعة تكوينها الفكري والأيديولوجي ولا ارتباط لها بعلم الغيب ولا تعتمد على الوحي في تراثها الديني. وأما تطبيق هذه النظريات المادية على الألوهية في الإسلام وإخضاعها لنظريات فلسفية مادية تكونت بفعل عوامل وظروف خاصة ببيئتها الفكرية والدينية فهذا بلا جدال ينتج عنه هدم كلي لعقيدة الألوهية في الإسلام وتشويه جوهري لحقيقتها وتغيير وانحراف جذري لطبيعة مفهومها.

الألوهية حقٌّ مبين:

الله عز وجل هو "الحق: في ذاته، وصفاته، فهو واجب الوجود كامل الصفات والنعوت، وجوده من لوازم ذاته، ولا وجود لشيء من الأشياء إلا به. فهو الذي لم يزل، ولا يزال بالجلال، والجمال، والكمال، موصوفاً. ولم يزل ولا

1. العمري، المصدر نفسه، ص334-335.

يزال بالإحسان معروفاً. فقوله حق، وفعله حق، ولقاؤه حق، ورسوله حق، وكتبه حق، ودينه هو الحق، وعبادته وحده لا شريك له هي الحق، وكل شيء إليه فهو حق"[1]، قال تعالى: **فَذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ** [يونس: ٣٢]. وقال سبحانه: **يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ** [النور: ٢٥].

والله عز وجل هو الحق الثابت في ذاته وصفاته وأفعاله، المبين المظهر للأشياء كما هي في أنفسها، وإنما يظهر آياته لنستدلَّ بها على أنه الموجود الحق، الإله الحق، وإنما سمّي سبحانه الحق لأن عبادته هي الحق دون عبادة غيره. والموجود لأن نقيضه الباطل وهو المعدوم[2].

وهو تعالى الحق المبين لا مراء فيه ولا شك، ولا تنتاب ألوهيته شبهةٌ ولا لبسٌ ولا غموضٌ، ثابتةٌ بعلم يقيني قطعي لا خفاء فيه ولا تردد، فدلائل وحدانيته، ودوافع عبوديته، ومظاهر ربوبيته، وكمال صفاته، ظاهرة واضحة، تدل عليه وعلى وحدانيته في ذاته وصفاته وأفعاله. فالحق حصرٌ وقصرٌ حقيقيٌ لله تعالى، إذ "ليس اسم الحق مسمّى به غير ذات الله تعالى، فهو سبحانه صاحب هذا الاسم وأحق به فهل تعلم له سمياً في استحقاقه له"[3].

كذلك ألوهيته حقٌ ثابتٌ، فهو حقيقة مطلقة، وعقيدة فطرية راسخة، موجود حيٌّ قائمٌ بذاته بائنٌ من خلقه، مستوٍ على عرشه، فوق سماواته، ووجوده وجود

---

1. السعدي، عبدالرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق (مؤسسة الرسالة، ط1، 1420هـ/2000م)، ص949؛ وانظر: الزجاجي، المصدر السابق، ص178.

2. انظر: الشوكاني، محمد بن علي، فتح القدير (دمشق، بيروت: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، ط1، 1414هـ)، 21/4.

3. انظر: ابن عاشور، المصدر السابق، 193/18

حقيقي يقين، لا مجرّد تصورات ولا نظريات ولا أوهام وخيالات وأساطير وأرواح مجردة، بل ذاتٌ وأسماءٌ وصفاتٌ وأفعالٌ ووجود، أول بلا ابتداء، وآخر بلا انتهاء، ولا يتغير ولا يتبدل، ولا تأثر فيه المحدثات ولا يتأثر، قديم في وجوده وصفاته، ليس له زمان ولا يخلو منه مكان، حيٌّ لا يموت، وقيومٌ على شأنه وشأن مخلوقاته، هو الإله الرب المعبود الواحد قبل خلق المخلوقات وأثناء خلقها وبعد خلقها، لا يتطور بتطور الأزمان، ولا يتجدد بتجدد الحوادث والأماكن.

ومن زعم بتطور الآلهة، وأن "الألوهية" عبارة عن تصوّر يمكن أن يلحقه التغيير والتطور مرات متلاحقة من الزمن، باتجاه تصورات متعددة منها التيولوجي، والصوفي، والفلسفي، والشعبي، ثم العقلاني اليوم، ثم جاءت مرحلة ظهور الفلسفة الإلحادية في القرون الأخيرة، وفي هذه المرحلة صار الإله خاضعاً للتحول والتغيير بتغير العصور والأزمان، وأنه لم ينج من ضغط التاريخية[1]. فقد أخطأ في تصوّره وحاد عن جادة الصواب، **وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ** [الزمر: ٦٧].

ويمكن أن ينطبق كلامه على التطور في التصوّر العقلي والذهني البشري للإله، وهو متعلق بالآلهة والمعبودات المادية المحسوسة والأساطير الوهمية والأرواح المجردة التي اتخذها أتباع الديانات الوثنية على مدار التاريخ البشري، والتي هي في الواقع معبودات وهمية **مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ** [يوسف: ٤٠]، فهي التي يلحقها التطوّر والتغيّر والتبدّل والتحويل والانتقال من طور إلى طور ومن هيئة إلى أخرى، لأنها خاضعة لنواميس الكون وسنن الحياة وتطور الماديات فهي جديرة

1. وهذا ما يقول به محمد أركون في كتابه: الفكر الإسلامي قراءة علمية، المترجم: هاشم صالح (بيروت: مركز الإنماء القومي والمركز الثقافي العربي، ط2، 1996م)، ص102.

بذلك، وأما إله الكون الحق ومعبوده الوحيد الحق المبين فهو بخلاف ذلك تعالى شأنه وتقدَّس ذاته وصفاته وأفعاله.

الألوهية كمالٌ قُدسيٌّ:

كمالٌ في الأسماء والصفات والأفعال، وقُدسيٌّ منزّهٌ عن كل صفات النقص والعيب التي لا تليق بجلاله وكماله، فهو سبحانه "المتصف بجميع نعوت الجلال وصفات الكمال، المنزَّه عن النقائص والمحال، المتعالي على الأشباه والأمثال، له الأسماء الحسنى والصفات العلى والمثل الأعلى"[1]. وحرام على العقول أن تصفه وعلى الأوهام أن تكيّفه، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير. قال تعالى: **لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ** [النحل: ٦٠]، والمثل الأعلى: هو الوصف الأعلى. فكلُّ موجود حقيقة فلا بد أن تكون له صفة إما صفة كمال وإما صفة نقص، والثاني باطل بالنسبة إلى الرب الكامل المستحق للعبادة، ولهذا أظهر الله تعالى في القرآن بطلان ألوهية الأصنام باتصافها بالنقص والعجز، ولم يبق إلَّا الأول، ثم إنه قد ثبت بالحس والمشاهدة أن للمخلوق صفات كمال، وهي من الله تعالى، فمعطي الكمال أولى به[2].

والكمال والتقديس يتعلق بصفات الألوهية التي هي أساس الأمر كله، ولا يمكن بحال من الأحوال اعتقاد إله مجرَّد من ذلك الكمال والتقديس يعتريه النقص والعيب، يشابه في صفاته وأفعاله الإنسان أو الجمادات والمحدثات فهذا لا يصلح أن يكون إلاهاً ولا رباً، وصفات النقص والعيب ممتنعة في حق الله عز وجل، نزّه الله نفسه عنها، فقال سبحانه: **سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ. وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ** [الصافات: ١٨٠ – ١٨١].

---

1. الحكمي، المصدر السابق، 131/1.

2. انظر: العثيمين، محمد بن صالح، القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى (المدينة المنورة: الجامعة الإسلامية، ط3، 1421هـ/2001م)، ص18.

لقد خاض علماء الإسلام جدالاً واسعاً في تاريخ الفكر الإسلامي للدفاع عن معتقد الألوهية في أسمائه وصفاته وأفعاله، وتنقيته مما شابه من الانحراف في الفهم، والتشويه لصفائه ونقائه، والرد عل المخالفين فيه، حتى أضحت مسائله من أولويات المسائل والقضايا التي يتم تناولها في كتب الاعتقاد. وقد تناول القرآن الكريم في حيّز كبير من سوره وآياته صفات الله تعالى وأسمائه وأفعاله بالتبيين والتوضيح وبيان ما يليق بالله منها، وما لا يليق، وتنوعت دلالات القرآن وأساليبه في إثباتها أو نفيها.

وتبرز أهمية الحديث في أسماء الله وصفاته وأفعاله لتمييز وجوده المتصف بالكمال والجلال والتقديس، عن مشابهة الوجود الإنساني الذي يعتريه من الضعف والعيب والنقص، مما يستلزم اعتقاد تفرد الإله بأسمائه وصفاته وأفعاله عن مماثلة المخلوقين **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** [الشورى: ١١].

لا يستطيع الإنسان أن يهتدي إلى معرفة صفات الإله ولا أفعاله عن طريق عقله استقلالاً، ولا عن طريق الخيال والحدس والتأمل الفلسفي، لأنه غيب يفوق قدرات العقل وطاقته في الوصول إلى حقيقته وكنهه، ولا نستطيع معرفته إلا عن طريق الوحي المنزل من السماء عن طريق الأنبياء والرسل، "ويبقى دور العقل هنا أن يتلقى النصوص الشرعية من الوحي ليفهم ما تتضمنه هذه النصوص من معاني أسماء الرب سبحانه وصفاته"[1]. ولهذا تكفّل الله عز وجل في القرآن بذكر هذا المعتقد وبيان أسماء الله وصفاته وأفعاله، وما يتعلق بها، ونستطيع أن نذكر طرفاً منها مما يدل على كماله وجلاله سبحانه وتعالى وتقديسه عن النقص والعيب.

1. ضميرية، المصدر السابق، ص157.

يقوم الاعتقاد الإسلامي في أسماء الله عز وجل وصفاته على ثلاثة أسس، وكلُّ هذه الأسس الثلاثة يدل عليها القرآن العظيم:

الأول: هو تنزيه الله جل وعلا عن أن يشبه شيءٌ من صفاته شيئًا من صفات المخلوقين، وهذا الأصل يدل عليه قوله تعالى: **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ، وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ** [الإخلاص: ٤][1]. ثم أنه قد عُلِم بالضرورة أن بين الخالق والمخلوق تباينا في الذات، وهذا يستلزم أن يكون بينهما تباين في الصفات، لأن صفة كل موصوف تليق به، كما هو ظاهر في صفات المخلوقات المتباينة في الذوات، فإذا ظهر التباين بين المخلوقات مع اشتراكها في الإمكان والحدوث فظهور التباين بينها وبين الخالق أجلى وأقوى، وكيف يكون الرب الخالق الكامل من جميع الوجوه مشابها في صفاته للمخلوق المربوب الناقص المفتقر إلى من يُكَمِّله؟، وهل اعتقاد ذلك إلا تنقص لحق الخالق، فإن تشبيه الكامل بالناقص يجعله ناقصاً[2].

الثاني: هو الإيمان بما وصف الله به نفسه، لأنه لا يصف اللهَ أعلمُ بالله من الله **قُلْ أَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ** [البقرة: ١٤٠]، وما وصفه به رسوله ﷺ، لأنه لا يصف الله بعد الله أعلم بالله من رسول الله ﷺ، الذي قال في حقه: **وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ . إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ** [النجم: ٣ – ٤]، فيلزم على كل مكلف أن يؤمن بما وصف الله به نفسه، أو وصفه به رسوله ﷺ، وينزه ربه جل وعلا عن أن تشبه صفته صفة الخلق[3]. ثم "إن تفصيل القول فيما يجب أو يمتنع أو يجوز

---

1. انظر: الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار، منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات (مكة المكرمة: دار عالم الفوائد، ط1، 1426هـ)، ص87.

2. العثيمين، القواعد المثلى، ص26.

3. الشنقيطي، المصدر السابق، ص87.

في حق الله تعالى من أمور الغيب التي لا يمكن إدراكها بالعقل، فوجب الرجوع فيه إلى ما جاء في الكتاب والسنة"[1].

الثالث: قطع الطمع في إدراك الكيفية؛ لأن الله يقول: **يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا** [طه: ١١٠]، ومعرفة كيفية الصفة متوقفة على معرفة كيفية الذات إذ الصفات تختلف اختلاف موصوفاتها[2]. فلأن الشيء لا تعرف كيفية صفاته إلا بعد العلم بكيفية ذاته، أو العلم بنظيره المساوي له، أو بالخبر الصادق عنه. وكل هذه الطرق منتفية في كيفية صفات الله عز وجل، فوجب بطلان تكييفها[3].

يقول الإمام أبو جعفر الطحاوي (ت 321هـ)، في صفات الله تعالى التي يجب اعتقادها في حق الله عز وجل فقال: "إن الله واحد لا شريك له، ولا شيء مثله، ولا شيء يعجزه، ولا إله غيره، قديم بلا ابتداء، دائم بلا انتهاء، لا يفنى ولا يبيد، ولا يكون إلا ما يريد، لا تبلغه الأوهام ولا تدركه الأفهام، ولا يشبه الأنام، حي لا يموت قيوم لا ينام، خالق بلا حاجة رازق بلا مؤنة، مميت بلا مخافة باعث بلا مشقة، ما زال بصفاته قديما قبل خلقه لم يزدد بكونهم شيئا لم يكن قبلهم من صفته وكما كان بصفاته أزليا كذلك لا يزال عليها أبدياً، ليس بعد خلق الخلق استفاد اسم (الخالق) ولا بإحداثه البرية استفاد اسم (الباري)، له معنى الربوبية ولا مربوب ومعنى الخالق ولا مخلوق، وكما أنه محيي الموتى بعدما أحيا استحق هذا الاسم قبل إحيائهم كذلك استحق اسم الخالق قبل إنشائهم، ذلك بأنه على كل شيء قدير وكل شيء إليه فقير، وكل أمر عليه يسير لا يحتاج إلى شيء، خلق الخلق بعمله، وقدر لهم أقداراً، وضرب لهم آجالاً، ولم يخف عليه

---

1. العثيمين، القواعد المثلى، ص33.
2. الشنقيطي، المصدر السابق، ص87.
3. العثيمين، القواعد المثلى، ص27.

شيء قبل أن يخلقهم وعلم ما هم عاملون قبل أن يخلقهم، وأمرهم بطاعته ونهاهم عن معصيته، وكل شيء يجري بتقديره ومشيئته ومشيئته تنفذ لا مشيئة للعباد إلا ما شاء لهم فما شاء لهم كان وما لم يشأ لم يكن، يهدي من يشاء ويعصم ويعافي فضلا ويضل من يشاء ويخذل ويبتلي عدلا، وكلهم يتقلبون في مشيئته بين فضله وعدله، وهو متعال عن الأضداد والأنداد، لا راد لقضائه ولا معقب لحكمه ولا غالب لأمره، آمنا بذلك كله وأيقنا أن كلا من عنده"[1].

وبيّن شيخ الإسلام ابن تيمية (ت 728هـ) ما يجب اعتقاده في حق الله عز وجل في الصفات ومن ذلك: الإيمان بما وصف به نفسه في كتابه، وبما وصفه به رسوله محمد ﷺ، من غير: تحريف ولا تعطيل، ومن غير: تكييف ولا تمثيل، بل نؤمن بأن الله تعالى: **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** [الشورى: ١١]، فلا ننفي عنه: ما وصف به نفسه، ولا نُحرِّف: الكلم عن مواضعه، ولا نُلحد في: أسماء الله، وآياته، ولا نمثِّل: صفاته بصفات خلقه، لأنه سبحانه؛ لا سمّي له، ولا كفو له، ولا ند له، ولا يقاس بخلقه سبحانه وتعالى، فإنه سبحانه؛ أعلم بنفسه وبغيره، وأصدق قيلاً، وأحسن حديثاً من خلقه. كما نؤمن بما أخبر الله به في كتابه، وتواتر عن رسوله ﷺ، وأجمع عليه سلف الأمة: من أنه سبحانه فوق سماواته على عرشه، عالي على خلقه. وهو سبحانه معهم أينما كانوا؛ يعلم ما هم عاملون. وأنه قريب من خلقه، وما ذكر في الكتاب والسنة، من قُربه ومعيّته، لا ينافي ما نذكر من علوه وفوقيته؛ فإنه سبحانه ليس كمثله شيء في جميع نعوته، وهو علي في دنوه، قريب في علوه[2].

---

1. ابن أبي العز الحنفي، المصدر السابق، ص30-36.

2. انظر: ابن تيمية، تقي الدين أحمد بن عبدالحليم، العقيدة الواسطية، تحقيق: أشرف بن عبد المقصود (الرياض: أضواء السلف، ط2، 1420هـ / 1999م)، ص57-93.

وبهذا الاعتقاد القائم على التقديس والتنزيه، والمتجرّد من التشبيه والتمثيل، والمتعالي عن التجسيم والتكييف، والمثبت للتعظيم والجلال والكمال، يتميّز رقي وسمو عقيدة الألوهية في الإسلام، ويظهر تفردها في الصفات والأفعال عن سائر ما يعتقده أرباب الأديان والفلسفات في الإله والقائمة على الأوهام والخيالات والأساطير والأرواح والألغاز ومشابهة الحوادث والجمادات والمظاهر الكونية والطبيعية.

الألوهية إقرارٌ فطريٌّ:

إقرارٌ بوحدانية الإله وتفرده بمظاهر الربوبية، وفطرةٌ غريزية فَطَرَ خَلْقَه وعباده على الإقرار بأنه الإله الرب الخالق المالك الرازق المدبر المتصرّف له الخلق والأمر.

وتقوم عقيدة الألوهية في الإسلام على الإيمان بربوبية الله عز وجل ووحدانيته، والاعتقاد بأن الله سبحانه وتعالى هو الواحد الأحد الفرد الصمد، الذي لا ضد له ولا ند، ولا شريك له في إلهيته وربوبيته، ولا متصرف معه في ملكوته، ولا شبيه له ولا نظير له في شيء من أسمائه وصفاته، فهو أحد في إلهيته لا معبود بحق سواه، وهو أحد في ربوبيته فلا شريك له في ملكه ولا مضاد ولا منازع ولا مغالب. أحد في ذاته وأسمائه وصفاته فلا شبيه له ولا مثيل. وهو المتفرد في ملكوته بأنواع التصرفات من الإيجاد والإعدام والإحياء والإماتة والخلق والرزق والإعزاز والإذلال والهداية والإضلال والإسعاد والإشقاء والخفض والرفع والعطاء والمنع والوصل والقطع والضر والنفع. قال تعالى: **قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ. اللَّهُ الصَّمَدُ** [الإخلاص: ١ – ٢].

وأن الله تعالى هو وحده ربَّ كل شيء، رب السماوات والأرضين وما بينهما، ورب الأولين والآخرين، رب العالمين رب الآخرة والأولى، فهو الرب وحده ولا رب سواه، وما عداه مربوب، قال عز وجل: **الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**

[الفاتحة: ٢]. وقال سبحانه: **قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ** [الأنعام: ١٦٤]. **قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ** [الأنبياء: ٥٦].

والاعتقاد بأن الله تعالى هو الخالق وكل ما سواه مخلوق له، مربوب له، لا خالق غيره، فجميع السموات والأرض ومن فيهن وما بينهما وحركات أهلها وسكناتهم وأرزاقهم وآجالهم وأقوالهم وأعمالهم كلّها مخلوقات له محدثة كائنة بعد أن لم تكن، وهو خالق ذلك كله وموجده ومبدئه ومعيده، فمنه مبدأها وإليه منتهاها. قال عز وجل: **اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ** [الزمر: ٦٢]، وقال سبحانه: **قُلْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ** [يونس: ٣٤].

والاعتقاد بأن الله عز وجل هو المالك، مالك الملك وحده فلا شريك له في ملكه، وأنه هو الرازق يرزق من يشاء بغير حساب، وهو الغني بذاته له الغنى المطلق فلا يحتاج إلى شيء سبحانه، وكلنا معشر المخلوقات مفتقر إليه، وهو المدبر المتصرّف في ملكه وملكوته، يدبر الأمر ويصرف الأمور لا يعجزه شيء ولا يغيب عنه مثقال ذرة في ملكه ولا أقل من ذلك، الحي القيّوم القائم بنفسه فلا يحتاج إلى شيء، القيّم لغيره فلا قوام لشيء إلا به، سبحانه له مطلق الربوبية على مخلوقاته. قال تعالى: **قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ** [يونس: ٣١].

وهذا الاعتقاد في ربوبية الله عز وجل وتفرده بالوحدانية أقرت به الفطر وأذعنت له القلوب، واعترف به الخلق، و "لم يذهب إلى نقيضة طائفة من بني آدم، بل القلوب مفطورة على الإقرار به أعظم من كونها مفطورة على الإقرار

بغيره من الموجودات"[1]، كما قالت الرسل فيما حكى الله عنهم: **قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ** [إبراهيم: ٩ – ١٠] ، "فاحتجت الرسل على الكفار بحجتين: الفطرة، فإن قولهم: **أَفِي اللَّهِ شَكٌّ** استفهام تقرير مفاده النفي؛ أي: أن الله تعالى فوق الشك، وأن الشك في إلهيته وربوبيته مما تنكره الفطر، وهذه حجة داخلية نابعة من الإنسان، والثانية العقل وذلك في قولهم **فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**، فإن هذا استدلال بالخلق على الخالق، وهذه حجة خارجية، مأخوذة من دلالة الأثر على المؤثر"[2]. ويؤيد هذا قوله تعالى: **فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ** [الروم: ٣٠]، فإنه تعالى فطر خلقه على معرفته وتوحيده، وأنه لا إله غيره، وهو دين الإسلام، ثم طرأ على بعضهم الأديان الفاسدة كاليهودية أو النصرانية أو المجوسية[3].

كما يشهد لهذا الدليل الفطري قوله تعالى: **وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ** [الأعراف: ١٧٢]. قال ابن كثير (ت 774هـ) رحمه الله تعالى: "وذهب طائفة من السلف والخلف أن المراد بهذا الإشهاد إنما هو فطرهم على التوحيد. كما في حديث أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: "كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ –وفي رواية– عَلَى هَذِهِ الْمِلَّةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ، كَمَا تُنْتَجُ البَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ، هَلْ تُحِسُّونَ

---

1. ابن أبي العز الحنفي، المصدر السابق، 127/1.

2. العريفي، سعود بن عبدالعزيز، الأدلة العقلية النقلية على أصول الاعتقاد (لندن: مركز تكوين، ط1، 1435هـ/2014م)، ص205.

3. انظر: ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة (دار طيبة للنشر والتوزيع، ط2، 1420هـ/1999م)، 313/6-314.

فِيهَا مِنْ جَدْعَاء"، أخرجاه[1]. وفي صحيح مسلم[2] عن عياض بن حمار ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "يقول الله تعالى: وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ، وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، وَحَرَّمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحْلَلْتُ لَهُم"[3]. ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية (ت 728هـ): " والكتاب والسنة دل على ما اتفقت عليه من كون الخلق مفطورين على دين الله، الذي هو معرفة الله والإقرار به، بمعنى أن ذلك موجب فطرتهم، وبمقتضاها يجب حصوله فيها، إذا لم يحصل ما يعوقها، فحصوله فيها لا يقف على وجود شرط، بل على انتفاء مانع. ولهذا لم يذكر النبي ﷺ لموجب الفطرة شرطاً، بل ذكر ما يمنع موجبها، حيث قال: «كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه»"[4].

ولقد زعم بعض المفكرين الغربيين ومن تابعهم من المسلمين[5] ممن درسوا تاريخ الأديان "أن البشرية لم تعرف عقيدة التوحيد إلا بعد أن تطورت ومرت بمراحل، فكانت تعرف الشرك وتعدد الآلهة أولاً، ثم ترقّت إلى التوحيد، متأثرين

---

1. البخاري، الصحيح، كتاب التفسير، باب لا تبديل لخلق الله، رقم (4775)، والجنائز، باب إذا أسلم الصبي، رقم (1358)، وباب ما قيل في أولاد المشركين، ورقم (1385)؛ ومسلم، مسلم، ابن الحجاج النيسابوري، الصحيح، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د ط، د ت)، كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة، رقم (2658). ورواية "على هذه الملّة" أخرجها أحمد، ابن محمد بن حنبل الشيباني، المسند، تحقيق: أحمد محمد شاكر (القاهرة: دار الحديث، ط1، 1416هـ - 1995م)، من حديث أبي هريرة، رقم (7445)، 413/12.

2. كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار، رقم (2865).

3. ابن كثير، المصدر السابق، 506/3.

4. ابن تيمية، تقي الدين أحمد بن عبدالحليم، درء تعارض العقل والنقل، تحقيق: الدكتور محمد رشاد سالم (الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط2، 1411هـ/1991م)، 458/8.

5. انظر: النشار، نشأة الدين، ص35 وما بعدها؛ الخشت، المصدر السابق، ص57 وما بعدها.

في ذلك بنظرية التطور في أصل الأنواع التي ابتدعها "دارون"، ثم نقلوا الفكرة ذاتها إلى الدين، فأصبحوا يقولون بالتطور فيه.

وقد يظن بعض المسلمين أن في ذلك ترقية للإنسان وتزكية للإسلام؛ لأنهم يزعمون أن البشرية لما كانت في حال من التأخر كانت تعبد آلهة متعددة، ولما ترقّت وتقدمت أصبحت تعبد إلهاً واحداً، فنشأت ديانات التوحيد. يظنون ذلك ويدافعون عنه، مع أنه يناقض نصوص القرآن الكريم والسنة الصحيحة، ويخالف الواقع والمنطق والعقل"[1].

وهذا الإقرار الفطري دليل على وجود الله عز وجل ووحدانيته، وأنه لا يحتاج إلى مشقة الاستدلال، ولا عناء البرهان لإثبات وجوده وربوبيته، إلا ما كان من الملحدين والمعاندين ممن أنكروا ربوبيته وجحدوا وجوده، فأقام لهم القرآن أدلة عقلية نقلية تنطق صراحة بإثبات وجوده، وتبرهن لكمال ربوبيته، وتقر بتفرد وحدانيته[2]، قال تعالى: **لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ** [الأنبياء: ٢٢]، **قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّابْتَغَوْا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا** [الإسراء: ٤٢]، **وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ** [لقمان: ٢٥].

الألوهية خضوع كوني:

1. ضميرية، المصدر السابق، ص144–145؛ وانظر الرد على هذه النظرية: دراز، محمد عبدالله، الدين بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان، (الكويت: دار القلم، د ط، د ت)، ص106 وما بعدها، وعبدالباري، المصدر السابق، ص88–100.

2. انظر تلك الأدلة في: ابن تيمية، درء تعارض العقل والنقل، 8/458–468؛ وابن أبي العز الحنفي، المصدر السابق، 1/126–134؛ العريفي، المصدر السابق، ص213–362، السلمي، عبدالرحيم بن صمايل، حقيقة التوحيد بين أهل السنة والمتكلمين، (جده: مركز التأصيل للدراسات والبحوث، ط1، 1435هـ/2014م)، ص124–179.

الأصل في الألوهية العبادة والخضوع والتذلل والتعبد كما سبق بيانه، وتتمثل ألوهية الله عز وجل في خضوع النظام الكوني بأسره لعبوديته وطاعته والتذلل له، فما من كائن متحرك ولا ساكن، ورطب ولا يابس، إلا هو عبد لله تعالى وخاضع لعبوديته لا يخرج عنها، قال تعالى: **ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ** [فصلت: ١١]، وقال سبحانه: **تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ** [الإسراء: ٤٤]، وقال تعالى: **إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَٰنِ عَبْدًا** [مريم: ٩٣]، **لَّن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا** [النساء: ١٧٢].

لقد جعل الله عز وجل عبادته وطاعته هو الغاية من خلق الجن والإنس، **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ** [الذاريات: ٥٦]، وذلك بأن يفردوه وحده بجميع أنواع العبادة الظاهرة والباطنة، وبجميع أفعال خلقه، وسائر العبادات والقربات بأنواعها الأربعة: القولية، والقلبية، والبدنية، والمالية[1]. ويدخل في هذا إفراد الله تعالى بالطاعة والتحاكم، إذ هي داخلة في الخضوع والانقياد لله تعالى.

فالله خَلَقَهم لتلك الغاية النبيلة، والمقصد الأسمى، وجعل لهم من أدوات القيام بالعبودية ما يمكّنهم من أداء حق الله تعالى في عبادته وطاعته، من الفطرة والسمع والبصر والفؤاد والعقل البشري وتسخير الكون، إلا أن ذلك لم يحصل منهم ولم ينقادوا لطاعته وعبادته، بل صرفوا العبادة لغيره من المخلوقات البشرية والطبيعية جهلاً منهم أن ذلك يشفع لهم ويقربهم زلفى إلى معبوداتهم، حينها تجلّت رحمة الله عز وجل بهم فأرسل لهم رسلاً وأنبياء يعيدونهم للفطرة

1. انظر: هراس، محمد خليل، دعوة التوحيد، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1406هـ)، ص41 وما بعدها.

والتوحيد الصافي النقي الذي خلقوا لأجله، **وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ** [النحل: ٣٦]، **وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ** [الأنبياء: ٢٥]، حينها عاشت البشرية في صراع طويل بين الحق والباطل، وبين دعوة الإيمان ودعوة الكفر، وبين دعاة التوحيد ودعاة الشرك والوثنية، وسيستمر ذلك الصراع إلى أن يرث الأرض من عليها.

لقد بذل أنبياء الله ورسله جهوداً كبيرة ومضنية في استعادة البشرية إلى جادة الصواب، بأن تعود إلى إلهها وربها وخالقها فتوحّده وتعظمه وتعبده وتخضع له، فمنهم من استجاب واستسلم لدعوتهم ففاز بخيري الدنيا والآخرة، ومنهم من أبى إلّا الاستمرار في دنس الشرك ووحل الوثنية فاستحق حينها العقوبة الرادعة من الله عز وجل: **فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ** [العنكبوت:٤٠].

وبناء على هذا أصبحت عبودية الله وطاعته والتزام أمره ونهيه ركن ركين وأصل أصيل في تحقيق الألوهية في الإسلام، فتعددت دلائله، وتنوعت طرائق إثباته وتحقيقه في القرآن الكريم، بل أن غالب سور القرآن الكريم متضمنة لتوحيد الربوبية وتوحيد العبادة لله عز وجل، "بل كل سورة في القرآن شاهدة به، داعية إليه. فإن القرآن إما خبر عن الله وأسمائه وصفاته، فهو التوحيد العلمي الخبري. وإما دعوة إلى عبادته وحده لا شريك له، وخلع ما يعبد من دونه، فهو التوحيد الإرادي الطلبي[1]. وإما أمر ونهي وإلزام بطاعته، فذلك من حقوق التوحيد

1. التوحيد العلمي الخبري: والمقصود به توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات. وسمي بالتوحيد العلمي: لأنه يعتني بجانب معرفة الله، فالعلمي أي "العلم بالله". والخبري: لأنه يتوقف على الخبر أي: "الكتاب والسنة". والتوحيد الإرادي الطلبي: والمقصود به توحيد الألوهية، وسمي بالتوحيد الإرادي لأن

ومكملاته. وإما خبر عن إكرامه لأهل توحيده، وما فعل بهم في الدنيا وما يكرمهم به في الآخرة، فهو جزاء توحيده. وإما خبر عن أهل الشرك، وما فعل بهم في الدنيا من النكال، وما يحل بهم في العقبى من العذاب فهو جزاء من خرج عن حكم التوحيد. فالقرآن كله في التوحيد وحقوقه وجزائه، وفي شأن الشرك وأهله وجزائهم"[1].

لقد استدل القرآن على الأمر بعبادة الله تعالى وإخلاصها له، بتقريره لربوبيته عز وجل، حيث ربط بين ربوبيته على خلقه وبين الأمر بعبادته وطاعته، باعتبار أن الأول من أعظم الأدلة على الثاني، فمن ثبتت له هذه الصفة هو المستحق وحده لأن يُعبد دون غيره، فبينهما تلازم وتضمن، فكل من عبدالله تعالى خالصاً له الدين كان ضمناً مقر بربوبيته، ومن كان مؤمناً بربوبيته لزمه أن يفرده بالعباده ويخلص له الدين ولا يعبد غيره، فمن كان خالقاً وربَّاً يلزم أن يكون معبوداً، قال تعالى: **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ. الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ** [البقرة: ٢١ – ٢٢]. **إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِن بَعْدِ إِذْنِهِ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ** [يونس:٣].

العبد له في العبادات إرادة، فهو إما أن يقوم بتلك العبادة أو لا يقوم بها، وسمي بالطلبي، لأن العبد يطلب بتلك العبادات وجه الله ويقصده عز وجل بذلك. انظر: التميمي، محمد بن خليفة، معتقد أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات (الرياض: ط1، 1419هـ/1999م)، ص39.

1. ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي (بيروت: دار الكتاب العربي، ط3، 1416هـ/1996م)، 3/417-418.

وإذا كان هذا الأمر بهذه الأهمية بمكان وجب حينها أن نجعل من هذه الخصيصة للألوهية منطلق للدعوة إلى التوحيد، ومرتكز لدعوة الإسلام، وقضية جوهرية في البناء المعرفي للعقيدة الإسلامية، وقيمة عليا في المجتمع الإسلامي، كونها تمثل الغاية من خلق الإنسان والوجود الكوني، والحكمة من إرسال الرسل والأنبياء، وتربط الإنسان والكون بخالقه وربه والمتصرف فيه، حيث أن مقام المخلوق مع خالقه مقام عبودية وخضوع وتذلل وانقياد وطاعة، لا ينفك عنه ما دام فيه حياة وروح.

الألوهية والإنسان والكون:

لا تنفك الألوهية في الإسلام عن علاقتها بالإنسان والكون؛ لأنهما أشرف مظاهر تجلِّي حقائق الألوهية، حيث تظهر فيهما أدلة وجوده ووحدانيته، وكمال صفاته وعظيم أفعاله، ولا يستقيم وجود الإنسان والكون إلا بوجود الإله الرب، فهو الغني المتعالي عن خلقه وما سواه الفقير المحتاج إليه **يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ** [فاطر: ١٥].

يرتبط الإنسان والكون في علاقتهما بالإله بعلاقة خالق ومخلوق، ورب ومربوب، ومعبود وعباده، فلا تداخل بينهما لا بعلاقة امتزاج ولا اختلاط، ولا بحلول ولا اتحاد، وإنما الألوهية في الإسلام تضع حدّاً فاصلاً ومتبايناً بين الخالق ومخلوقاته في الذات والصفات والأفعال والوجود.

وعقيدة الألوهية في الإسلام تنظر إلى الإنسان نظرة إنسانية على أنه مخلوق مكرّم، خلقه الله من جسد وروح ووهب له العقل تكريماً وتفضيلاً، خلقه لغاية العبودية والخضوع لخالقه وإلهه، خلق الله آدم بيده، وأسجد له ملائكته، وأنزل عليه الهدى والنور، وجعل في ذريته النبوة والرسالة، وسخّر الكون والحياة للإنسان، لينعم بها ويتمتع بما خلق الله فيها من النعم والخيرات، وحرّم الاعتداء

على الإنسان في روحه أو جسده وجعله كمن اعتدى على البشرية جميعاً، وشرّع من التشريعات والحدود ما تحفظ عليه دينه ونفسه ونسله وعقله وماله.

كما تتجلى نظرة الألوهية للإنسان إلى أنه مخلوق مربوب مكّنه الله بالعقل وأسباب ومقومات الهداية وسلوك سبل النجاة والبعد عن الغواية، فأرسل له الرسل، وبعث له الأنبياء، مبشرين ومنذرين، يوجهون الإنسان ويرشدونه لما فيه صلاحه وفلاحه في الدنيا والآخرة، ويدعونه لتحقيق الغاية من خلقه، ويحذرونه من كل ما يفسد عليه طبيعته وفطرته ودينه وعلاقته بربه وإلهه.

وجعل الإسلام للإنسان الحرية والاختيار في الإيمان والقول والفعل، وجعله محاسباً عن تصرفاته وسلوكه، ومسؤولاً مسؤولية فردية عن حياته، ومسؤولاً مسؤولية جماعية في نطاق البيئة والمجتمع الذي يحيط به، كما جعله مسؤولاً عن كل ما وهبه الله عز وجل من وسائل التفكير والهداية كالعقل والسمع والبصر والفؤاد، وابتلاه في الدنيا بالخير والشر.

كما ربط الإسلام بين حياة الإنسان في الدنيا والجزاء في الآخرة، وربط بين العمل والجزاء في تصرفات الإنسان وأفعاله، وجعل له من الجزاء الكثير والثواب العظيم لمن استقام على دينه واستغل النعم التي حباه الله بها في طاعته ومرضاته، وجعل العقوبة لكل من تمرد على ربه وإلهه، وانتكس في فطرته وطبيعته، جزاء وفاقاً. وما ذاك إلا للتنبيه والحث على سلوك الإنسان طريق الاستقامة والهداية والعمل الصالح وإصلاح علاقته بالله، والبعد عن المساوئ والخطايا وكل ما يفسد علاقته بربه وإلهه.

والكون في عقيدة الألوهية الإسلامية إضافة إلى كونه مخلوق مربوب لله رب العالمين فهو يخضع لمبدأ الحكمة والغاية، حيث تنزّه الله عز وجل عن اللعب والباطل والسُدى، وما من موجود في هذا الكون إلا وهو مخلوق لحكمة وغاية خلقه الله عز وجل لأجلها، **وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا**

لَاعِبِينَ. مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ [الدخان: ٣٨ – ٣٩]، فالكون يسير وفق نواميس وقدر إلهي، وتحت مشيئة وإرادة خالقه، يسيّره، ويدبّر أمره، ويصرّف شؤونه، وكل ما فيه هو مخلوق لله تعالى، لا يقع فيه شيءٌ من متحرك ولا ساكن، ولا صغير ولا كبير، ولا رطب ولا يابس، ولا حيوان ولا جماد، ولا حي ولا ميت، خارجٌ عن إرادة الله ومشيئته، ولا غائبٌ عن علم الله وسمعه وبصره. قد علم الله عز وجل بكل ما هو كائن وما يكون وسيكون في هذا الكون، وكتب ذلك عنده في اللوح المحفوظ قبل خلق الخلق، وشاء ذلك وأراده وقدّره بمشيئته وإرادته وقدرته، ثم خلقه وأوجده بكلمة كن فكان كما أراده وشاءه سبحانه وتعالى.

فالألوهية في الإسلام ألوهية عالمية للناس جميعاً تمثل عقيدة فطرية للبشرية، وألوهية كونية تخضع الكون له لربوبيته وعبوديته، كما أنها تقوم على عقيدة ذات أسس وأصول واضحة المعالم، قوية الدلالات، تنسجم مع العقل الصريح، وتوافق الفطرة السليمة، وتتناسق مع الإنسان والكون والحياة، تخاطب العقل والروح، شاملة في نظرتها للوجود كله، تعرّفنا على الله بذاته وصفاته وأسمائه وأفعاله بكل وضوح وتنزيه وتقديس، وتعرّفنا على الكون والحياة والإنسان معرفة صحيحة شاملة. عقيدة متكاملة ومترابطة ارتباطاً وثيقاً بين أصولها وفروعها، وبين الظاهر والباطن، وبين الإيمان والعمل، في توازن واعتدال ووسطية في علاقة الإله بالكون والإنسان والحياة.

الخاتمة

الألوهية في الأديان تمثّل قضية جوهرية اجتهدت في تفسيرها الفلاسفة وأرباب الديانات إلا أنهم وصلوا إلى طريق مسدود تاهت فيه عقولهم ولم يهتدوا إلى الحق الذي جاء به دين الإسلام.

وتعتبر الألوهية محور الدين الإسلامي كثُر حولها الجدل الكلامي والفلسفي في تاريخ العقيدة الإسلامية وتأثرت فيه المدارس الكلامية بآراء الفلاسفة ونظرياتهم التأملية.

ويرتكز مفهوم الألوهية على: العبادة، واستحقاق العبادة للإله المعبود بحق وهو الله وحده لا شريك وهو المعنى الذي تتضمنه كلمة التوحيد "لا إله إلا الله".

وتقوم الألوهية في الإسلام على عدة خصائص تميزها عن غيرها من العقائد في الديانات الأخرى والفلسفات الدينية والمذاهب الكلامية.

فالألوهية وحيٌ غيبي يقوم إثباته على الوحي والإيمان بالغيب. كما أنها حق مبين ثابت واجب الوجود لا شك في حقيقته، وهي كمال قدسي له صفات الكمال والجلال والجمال المنزّه عن النقص والعيب، وهي ألوهية تقوم على الاقرار الفطري المرتكز في فطرة الإنسان السليمة، وهي خضوع كوني يقوم على العبودية والخضوع والطاعة للإله المعبود بحق.

وفي علاقة الألوهية بالإنسان والكون يتجلّى لنا سمو العقيدة الإسلامية في الفصل والتباين بين الخالق والمخلوق في الذات والصفات والأفعال والوجود، فلا امتزاج، ولا اختلاط، ولا حلول ولا اتحاد، ولا تأثر ولا تأثير. وإنما هناك إله معبود بحق يعبده الإنسان والكون، عالٍ في سماواته، مستغنٍ عن خلقه، بائن من مخلوقاته، مستوٍ على عرشه.

تكمن علاقة الألوهية بالإنسان في كونه مخلوق مكرّم، رفع الله قدره، وأعلى من شأنه، بأن سخّر له الكون ليعمره في طاعة الله تعالى وعبادته، ويخلق له مقومات الهداية وسبل النجاة وأسباب السعادة في الحياة، ويجعل من خلقه غاية وحكمة وليس باطلاً ولا سُدى، ووهب له الحرية والاختيار والإرادة والمشيئة في الإيمان والأقوال والأفعال.

وأما الكون فلا يخرج عن طاعة وعبودية وتدبير وتصرّف الله عز وجل، بل هو خاضع لربوبيته، قانت لعبوديته، ممتثلاً الغاية والحكمة من خلقه، قائمٌ ومسخّرٌ ومسيّرٌ بأمر الله تعالى، يدبّر أموره ويصرّف شؤونه، أمر الله بعمارته وفق ما أنزله من تشريع وما سنّه من نواميس وقوانين، تسير وفق مشيئته وإرادته سبحانه وتعالى.

المصادر والمراجع

1. ابن أبي العز الحنفي، محمد بن علي، شرح العقيدة الطحاوية، تحقيق: عبدالله بن عبدالمحسن التركي وشعيب الأرنؤوط (دمشق: دار الرسالة العالمية، ط2، 1433هـ/2012م).
2. ابن تيمية، تقي الدين أحمد بن عبدالحليم، العقيدة الواسطية، تحقيق: أشرف بن عبد المقصود (الرياض: أضواء السلف، ط2، 1420هـ / 1999م).
3. ابن تيمية، تقي الدين أحمد بن عبدالحليم، درء تعارض العقل والنقل، تحقيق: الدكتور محمد رشاد سالم (الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط2، 1411هـ/1991م).
4. ابن عاشور، محمد الطاهر، تفسير التحرير والتنوير (تونس: الدار التونسية للنشر، 1984م).
5. ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، بدائع الفوائد (بيروت: دار الكتاب العربي، د ط، د ت).
6. ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي (بيروت: دار الكتاب العربي، ط3، 1416هـ/1996م).
7. ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة (دار طيبة للنشر والتوزيع، ط2، 1420هـ/1999م).
8. ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب (بيروت: دار صادر، ط3، 1414هـ).
9. أحمد، ابن محمد بن حنبل الشيباني، المسند، تحقيق: أحمد محمد شاكر (القاهرة: دار الحديث، ط1، 1416هـ - 1995م).

10. الأزهري، محمد بن أحمد، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط1، 2001م).
11. البخاري، محمد بن إسماعيل، الصحيح (الرياض: دار السلام، ط1، 1417هـ-1997م).
12. التميمي، محمد بن خليفة، معتقد أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات (الرياض: ط1، 1419هـ/1999م).
13. الحكمي، حافظ بن أحمد، معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر (الدمام: دار ابن القيم، ط1، 1410هـ/1990م).
14. الخشت، محمد عثمان، تطور الأديان نظرية جديدة في منطق التحولات (القاهرة: نيو بوك للنشر والتوزيع، ط2، 2017م).
15. دراز، محمد عبدالله، الدين بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان، (الكويت: دار القلم، د ط، د ت).
16. الزَّبيدي، محمّد بن محمّد المرتضى، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين (دار الهداية، د ط، د ت).
17. الزجاجي، عبدالرحمن بن إسحاق، اشتقاق أسماء الله، تحقيق: عبد الحسين المبارك (مؤسسة الرسالة، ط2، 1406هـ/1986م).
18. السعدي، عبدالرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق (مؤسسة الرسالة، ط1، 1420هـ/2000م).
19. السفاريني، شمس الدين محمد بن أحمد، لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية (دمشق: مؤسسة الخافقين ومكتبتها، ط2، 1402هـ/1982م).
20. السلمي، عبدالرحيم بن صمايل، حقيقة التوحيد بين أهل السنة والمتكلمين، (جده: مركز التأصيل للدراسات والبحوث، ط1، 1435هـ/2014م).
21. السيف، خالد بن عبدالعزيز، ظاهرة التأويل الحديثة في الفكر العربي المعاصر، (جده: مركز التأصيل للدراسات والبحوث، ط3، 1436هـ/2015م).
22. الشريف، عمرو، الوجود رسالة توحيد (القاهرة: نيو بوك للنشر، ط2، 1436هـ/2015م).

23. الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار، منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات (مكة المكرمة: دار عالم الفوائد، ط1، 1426هـ).
24. الشوكاني، محمد بن علي، فتح القدير (دمشق، بيروت: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، ط1، 1414هـ).
25. ضميرية، عثمان جمعة، مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية (جده: مكتبة السوادي للتوزيع، ط1 المعدَّلة، 1425هـ/2005م).
26. الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر (مؤسسة الرسالة، ط1، 1420هـ/2000م).
27. عبدالباري، فرج الله، العقيدة الدينية نشأتها وتطورها (القاهرة: دار الآفاق العربية، ط1، 2006م).
28. العثيمين، محمد بن صالح، القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى (المدينة المنورة: الجامعة الإسلامية، ط3، 1421هـ/2001م).
29. العثيمين، محمد بن صالح، شرح كشف الشبهات، إعداد: فهد بن ناصر السليمان (الرياض: دار الثريا للنشر والتوزيع، ط1، 1416هـ/1996م).
30. العريفي، سعود بن عبدالعزيز، الأدلة العقلية النقلية على أصول الاعتقاد (لندن: مركز تكوين، ط1، 1435هـ/2014م).
31. العمري، مرزوق، إشكالية تاريخية النص الديني (الرباط: دار الأمان، ط1، 1433هـ/2012م).
32. الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي (بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ط8، 1426هـ/2005م).
33. المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، موسوعة المفاهيم الإسلامية العامة، مصر (بدون معلومات).
34. مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، (القاهرة: دار الدعوة، د ط، د ت).
35. محمد أركون في كتابه: الفكر الإسلامي قراءة علمية، المترجم: هاشم صالح (بيروت: مركز الإنماء القومي والمركز الثقافي العربي، ط2، 1996م).

36. المعلمي، عبدالرحمن بن يحيى، القائد إلى تصحيح العقائد، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني (بيروت: المكتب الإسلامي، ط3، 1404هـ/1984م).
37. المعلمي، عبدالرحمن بن يحيى، رفع الاشتباه عن معنى العبادة والإله وتحقيق معنى التوحيد والشرك بالله، تحقيق: عثمان بن معلم شيخ علي (مكة المكرمة: دار عالم الفوائد، ط1، 1434هـ).
38. النشار، علي سامي، نشأة الدين النظريات التطويرية والمؤلهة (القاهرة: دار السلام، ط1، 1420هـ/2009م).
39. النشار، مصطفى، مدخل جديد إلى فلسفة الدين (القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، ط2، 2015م).
40. هراس، محمد خليل، دعوة التوحيد، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1406هـ).
41. ومسلم، مسلم، ابن الحجاج النيسابوري، الصحيح، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د ط، د ت).
42. يسري، محمد بن إبراهيم، درة البيان في أصول الإيمان، (القاهرة: دار اليسر، ط7، 1433هـ/2012م).